كتاب الركون إلى البيت
أوديسة المجال المنزلي

تعرف المجتمعات المتقدمة وفرة كبيرة على صعيد الاستهلاك بشتى ميادينه وأشكاله، وبالتوازي مع ذلك يزداد ضغط العمل وإيقاعه من أجل تحقيق قدر أكبر من الإنتاج في ظل واقع المنافسة الذي فرضته قوانين اقتصاد السوق ومتطلبات الحياة اليومية. في مثل هذا السياق وبمواجهة السباق المحموم الذي تعرفه المجتمعات الغربية الاستهلاكية لزيادة الإنتاج، بالتوازي مع زيادة قدرة المنافسة، تُقدّم منى شوليه، الكاتبة والصحافية في مجلّة «لوموند ديبلوماتيك» الشهرية الصادرة عن مؤسسة «لوموند»، كتاباً تحت عنوان «الركون إلى المنزل» والذي تكرّسه لدراسة «أوديسة المجال المنزلي»، كما جاء في عنوانه الفرعي.

العنوان: الركون إلى المنزل.. أوديسة المجال المنزلي
تأليف: منى شوليه
الناشر: لاديكوفيرت - باريس – 2015
الصفحات: 330
القطع: المتوسط.

تساؤلات

مؤلفة هذا الكتاب، على الرغم من تأكيدها على أهمية مساهمة الجميع من نساء ورجال في العملية الإنتاجية وفي مختلف النشاطات، تؤكّد بالمقابل أن «موقف الشخص الذي يريد الركون إلى المنزل لا يتعارض مع العالم الخارجي ولا يعني انقطاعه عنه». وتسأل بهذا الصدد: هل المنزل هو مكان للانطواء على الذات وإمضاء ساعات أمام التلفزيون بلباس النوم؟. وتجيب أنه كذلك بالفعل. ولكنه أيضا بالوقت نفسه يمثل، في هذه الحقبة القاسية والضاغطة على الإنسان، نوعا من «القاعدة الخلفيّة التي يمكن للإنسان أن يحمي نفسه فيها ويستعيد قواه ويتذكّر رغباته وإنسانيته ومكاناً للتعبير عمّا بقي لديه من حيوية ومن إيمان بالمستقبل».

المؤلفة في سطور

منى شوليه، صحافية تعمل منذ سنوات في مجلّة «لوموند ديبلوماتيك الشهرية» التي تصدر عن صحيفة «لوموند اليومية».
من مؤلفاتها: «استبداد الواقع» و«أحلام معسكر اليمين» و«الوجوه الجديدة لحالة الاغتراب النسائي»..إلخ.

عزلة

من ضمن أفكار الكتاب نقرأ أيضا:«الكثير من البشر، ودون أن يكونوا في عداد الفنانين يحسّون عامّة بحاجة العزلة. لكن سيكون من الصعب عليهم فرض شرعية ذلك. فالمجتمع لا يزال يرى في مثل ذلك المطلب فعلاً مضاداً. وإرادة الركون إلى المنزل ولو لبضعة أيام تعني القول للآخرين تفضيل ذلك على صحبتهم من أجل التفرّغ لمشاغل تبدو لهم في غاية العبث وعدم الجديّة».

حاجة

تشرح المؤلفة منى شوليه على مدى العديد من صفحات الكتاب أن «الركون للمنزل» يمكن أن يكون وسيلة فاعلة «للتسلّح بشكل أفضل في مواجهة الضغط الذي يمثّله. والتأكيد في نفس السياق أن الركون للمنزل هو«حاجة»، لكنها حاجة لا تحبّذها الثقافة الغربية السائدة».

صورة

تكتب المؤلفة: إن أكثر ما يثقل على أولئك الذين يعيشون وحدهم هو تلك الصورة التي تتضمن الكثير من الازدراء من قبل الذين يحيطون بهم.

إنترنت

من الأفكار التي تؤكّد عليها مؤلفة هذا الكتاب أن شبكة الانترنت ومختلف وسائل التواصل الاجتماعي ليست مؤذية بالقدر الذي يقال ويتكرر عنها بأنها تؤدّي إلى زيادة عزلة مستخدميها وانقطاعهم عن العالم. بل انها، على عكس ذلك «تستقدم لك أصواتا كثيرة من الخارج» و«تسمح بنوع من التواصل مع الآخرين في ظروف الانفصال عنهم. ذلك أنهم قد يتواجدون على بعد مئات أو آلاف الكيلومترات».

20

في مثل هذا السياق انطلقت مجموعة من المؤسسات والشركات في الغرب بإجراء دراسات لإيجاد وسائل تساعد على تقليل ساعات النوم، وفي بعض الأحيان فرض «قيلولة إجبارية لحوالي 20 دقيقة بالنسبة للعاملين»، ومن أجل زيادة الإنتاج في الحالتين.

واقع

قسم مهم من صفحات الكتاب مكرّس لدراسة «طريقة البناء» ولـ«مدى إمكانات تأقلمها مع عادات البشر المعنيين بالسكن فيها». وتشرح أن المواطن العادي في بلد مثل فرنسا يعاني اليوم كثيراً من الضغوط كأحد نتائج الأزمة الاقتصادية والمالية العالمية الأكبر منذ الكساد الكبير لعام 1929. وتشير المؤلفة في هذا السياق أن وسائل الإعلام تدعو المواطنين المعنيين إلى تغيير عاداتهم في ظل واقع عدم قدرتهم على تغيير الواقع. هكذا مثلا يتم طرح مسألة النوم لساعات طويلة باعتبارها أحد وجوه «الرابطة» مع الزمن. لكن النوم يبقى هو الزمن الذي لا يقوم المعني فيه بأي إنتاج «من وجهة نظر اقتصادية».

تأمل

توجّه المؤلفة لقارئها نوعاً من الدعوة الملحّة من أجل التأمل في العالم الذي يحيط به. وبتحديد أكثر محاولة فهم «الروابط» التي تشدّنا إلى الأمكنة التي نقطنها. وأبعد من ذلك محاولة طرح الأسئلة المتعلّقة بالزمن وبطريقتنا في استخدامه ومدى تأثير المجتمع في ذلك.

ضغوط

أزمة السكن في فرنسا عامّة وفي مدينة باريس بشكل خاص تمثّل، حسب التحليلات المقدّمة، أحد الأسباب الرئيسية لحالة القلق التي يعاني منها المعنيون بها. ذلك أن امتلاك سكن يتطلّب المال والحصول على المال يتطلّب العمل الذي غدا بمثابة «هدف بحدّ ذاته» و«مهما كانت متطلباته».
هكذا بالنتيجة يؤدّي العمل الذي قد يؤمّن المسكن إلى «منعنا في الوقت ذاته من الاستفادة منه». ويغدو الضغط أكبر عندما يكون المعني قد التزم بقرض عليه تسديده خلال عشرين أو خمس وعشرين سنة.

نظرة

تشرح مؤلفة هذا الكتاب أن المجتمعات الغربية تسود لديها «نظرة سلبية» للركون إلى المنزل. ذلك نتيجة ثقافة متوارثة ركّزت باستمرار على التأكيد أن ذلك يعني «عدم المساهمة في الانتاج». وبالتالي تكوّنت عبر مثل هذه المقولات صورة سلبية للبقاء في المنزل.

ملاذات

تشرح المؤلفة أن «حرمان الفرد» من الوقت الذي يمكنه أن يخلد فيه إلى نفسه هو القانون السائد في المجتمعات الغربية اليوم. هذا«رغم كل المزاعم بالعمل على تخفيف قلق الأفراد والاهتمام برفاهيتهم والاستجابة لمطالبهم الحيوية»، وتشرح شروط العمل في البلدان الاستهلاكية الغربية عموما، والمثال الفرنسي بشكل خاص، من خلال الإفصاح عن رغبة عميقة بالتمتّع بقليل من الوقت عبر «الركون إلى المنزل» كأحد الملاذات من «ضغط الحياة اليومية». وأسئلة جوهرية حول العلاقة مع العمل والثقافة السائدة والآخرين.